الفصل الثاني عشر:

الرؤية الإسرائيلية للنكبة

رضوى عبد القادر

مثلت نكبة ١٩٤٨ الفلسطينية منعطفًا تاريخيًا هامًا، في الوطن العربي، حيث تم زرع الورم الصهيوني داخل الجسم العربي، ليتمكن منه، شيئًا فشيئًا، ويحوله إلى جسمٍ مريضٍ هزيل، تستطيع من خلاله الامبريالية تحقيق مطامعها.

كلٌ من موقعه رأي للنكبة أسبابها، وسنحاول هنا إلقاء الضوء على الرؤية الإسرائيلية، في هذا الصدد.

بعد أن أعطت بريطانيا " وعد بلفور "، في ١٩١٧/١١/٢، للصهاينة، جائت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)، لتغير ميزان القوى داخل المعسكر الاستعماري، لصالح الولايات المتحدة، التي أرادت بدورها أن تزيد من مناطق نفوذها، ومستعمراتها، خاصة في المنطقة العربية. غدت الولايات المتحدة هي الداعمة للصهيونية، في حين حاولت بريطانيا التراجع عن إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وإدارة الظهر لوعد بلفور، مما أثار غضب الصهاينة، فقاموا بعدة عمليات عسكرية انتقامية، ضد الجيش البريطاني، ليعجلوا بإنهاء الانتداب.

رؤى الصهاينة:

لقد تعاون الانتداب البريطاني مع الصهاينة، للمحافظة على انتظام

حركة المواصلات في طرق فلسطين، فانقلب هذا الآخر إلى عنصر غير ثابت، ومعاد، ومشاغب، كما نظر الانتداب البريطاني باستياء إلى كل محاولة من جانب الصهاينة للسيطرة على جزء من أي طريق حيوي للبريطانيين، كان يمر بمنطقة عربية، ولم يكن بدافع من حرص الإنجليز على العرب، بل لأن ظهور الصهاينة كان يحوِّل الجزء إلى مكان مرشح للتحرشات، ولزرع الألغام، ولإغلاق الطريق. وعندما لا يعود الطريق يخدم أغراض البريطانيين، فإنهم كانوا يتخلون عنه لمن كانت له الغلبة، والسيطرة عليه، وكانت أهم التدابير التي اتخذتها حركة النقل اليهودية، ضد الهجمات العربية: البحث عن طرق أكثر أمانًا، وأطول مسافة، لكن تمر عبر مناطق أكثر خطورة، وموكابة حرس مسلح لسيارات الصهاينة، ولمصفحات القوافل، فضلاً عن الاعمال الأنتقامية الصهيونية[١].

الضيافة العربية:

بعد أن طوت ثورة ١٩٣٦ راياتها، في ربيع ١٩٣٩، كانت الحاجة الصهيونية ملِّحة إلى تخطيط منهجي، من أجل المعرفة الشاملة حول القرى الفلسطينية، وهذا ما أتى على أثره تدمير اكثر من ٤٠٠ قرية، وتهجير أهلها، واعتقال شبابهم، مما أفضى إلى احتلال أكبر قدر من الأراضي الفلسطينية، وخاصة الزراعية منها، خلال حرب ١٩٤٨.

اقترح موظف في الدائرة التعليمية، التابعة للوكالة اليهودية - وهو مؤرخ شاب من الجامعة العبرية، يدعى بن تسيون لوريا - إعداد سجل

(١) **حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨**، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤، ص ٣٠٨.

مفصَّل للقرى العربية، وأن يقوم " الصندوق القومي اليهودي " بإعداده، ليساعد في " التطهير العرقي " للعرب الفلسطينيين، وبلغت حماسة مدير دائرة الاستيطان، آنذاك، يوسف فايتس، الذروة، عنما بلغه خبر ملفات القرى، واقترح، على الفور، تحويلها إلى " مشروع قومي " !، وكانت المهمة الرئيسية رسم خرائط القُرى العربية الفلسطينية، لذا تم تجنيد خبير طوبوغرافي صهيوني، من الجامعة العبرية، اقترح القيام بمسح فوتوغرافي - جوي لتلك القرى. وفي أواخر ثلاثينيات القرن الماضي، أصبح الأرشيف مكتملاً، وقد تضمن ملف كل قرية تفصيلات دقيقة، عن موقعها الطوبوغرافي، وطرق الوصول إليها، ونوعية أراضيها، وينابيع المياه، ومصادر الدخل الرئيسية، وتركيبتها الاجتماعية - الاقتصادية، والانتماءات الدينية للأهالي، وأسماء المخاتير، والعلاقات بالقرى الأخرى، وأعمار الرجال (من سن ١٦ إلى ٥٠). ومن فئات المعلومات المهمة ثمة مؤشر يحد درجة " العداء " للمشروع الصهيوني. وكانت المشكلة الملحوظة في كثير من ملفات القرى، هي كيفية إيجاد نظام تعاون استخباراتي مع أناس يعتبرهم الصهايمة " بدائيين وبرابرة " !. فيما تضمنت الملفات، في فترة ما بعد سنة ١٩٤٣، وصفًا مفضلاً للزراعة، وتربية الحيوانات، والأراضي المزروعة. ومع حلول سنة ١٩٤٥، جاء المزيد من التفصيلات، حول وصف المساجد، وأسماء الأئمة فيها، وصفاتهم. ومع نهاية الانتداب، أصبح جمع المعلومات موجهًا، بصراحة، نحو المعطيات ذات الطابع العسكري. ولم تكن هذه المهمة خطرة جدًا، لأن القائمين بها استغلوا أصول الضيافة العربية التقليدية، حتى أنهم حلوا

ضيوفًا في بيت مختار القرية نفسه، وعندما لم ينجحوا، خلال يوم واحد، في جمع المعلومات طلبوا استضافتهم، مرة أخرى! كما ركزوا على أمرين: كيفية الدخول إلى القرية، ومعرفة الممتلكات. وروى يغئيل يادين، بأن هذه المعرفة الدقيقة والتفصيلية، بما كان يجري في كمل قرية عربية فلسطينية على حدة، هي التي مكَّنت القيادة العسكرية الصهيونية، في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٧، من الاستنتاج بأنه " لم يكن لدى الفلسطينيين العرب من ينظمهم، التنظيم الصحيح ". وكانت المشكلة الجدية الوحيدة، التي واجهتها القيادة الصهيونية هي البريطانيين: " لولا البريطانيون لكنا اخمدنا الاضطرابات العربية، خلال شهر واحد " ! [١].

ضعف وصراع وحماسية ظاهرية:

رأى الإسرائيليون بأن حركة الشبيبة احتلت مكانة قليلة الشأن في حياة العرب، وكانت أهمها حركة الكشافة، التي قامت بأدوار معينة، في مدن عربية فلسطينية عدة، خاصة يافا. وفي ١٩٤٦ برزت منظمات شبه عسكرية للراشدين، واتضح، في أثناء حرب ١٩٤٨، بأن نشاط جمعيات الشبيبة العربية كان متواضعًا جدًا، فهي لم تجمع سلاحًا كثيرًا، ولم تقم بنشاط تدريبي يستحق الذكر، ولم تنجح في تغيير النمط العربي، الذي كان السلاح، بموجبه، ملكًا خاصًا للمقاتل، يستخدمه وفقًا لإرادته وفهمه[٢].

(١) إيلان بابه، **التطهير العرقي في فلسطين**، ترجمة: أحمد خليفة، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، تموز/ يوليو ٢٠٠٧، ص ٢٦ - ٣١

- إيلان بابه، في حديث معه، **الجزيرة**، فيلم تسجيلي " النكبة "، ج٢، الجمعة ٢٠٠٨/٥/٢٣، الساعة ٨ م.

(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص١٢ - ١٣.

وجد الصهاينة بأن " الانطباع الأول، الذي يمكن أن يخرج به الدارس لفترة الصراع ببشأن مجريات الأمور في الوسط العربي، هو انطباع بالهدوء، إلا أنه انطباع ظاهري، خاطىء، ومضلل. بدليل الانفجار الكبير للأحداث الدامية "، الذي أعقب صدور قرار التقسيم (١٩٤٧/١١/٢٩)، مباشرة، وأبرز الصهاينة أربعة أسباب رئيسة لضبط النفس، الذي أبداه العرب، في سني ١٩٤٦ - ١٩٤٨، وهي: السياسة البريطانية المتمسكة بسياسة " الكتاب الأبيض[*] المعادية للصهيونية، والدعم المكشوف والخفي من جانب الدول العربية، والتخوف من إثارة ردة فعل يهودية قوية، قبل حلول أوان الحسم، فضلاً عن الصراع الداخلي في المجمع العربي الفلسطيني، وقد اعتبر موقف العرب في فلسطين من حركة الهجرة اليهودية السرية، نموذجًا لسلوكهم، في تلك السنوات، فكانت معارضتهم حادة، إلا أنها لم تكتسب، في تلك السنوات، أي تعبير علمي[١].

رأى رأس الحركة الصهيونية، أول رئيس لدولة إسرائيل، حاييم

(*) الكتاب الأبيض: أصدره وزير المستعمرات البريطاني، مالكوم ماكدونالد، في آيار / مايو ١٩٣٩، وفيه تناول عزم بريطانيا على عدم إقامة دولة يهودية في فلسطين، وغرمها على أن تقيم دولة فلسطينية، بعد عشر سنوات، يتقاسم فيها العرب واليهود المسؤولية والسلطة، كما حدد الكتاب الهجرة اليهودية، منع انتقال الأراضي لليهود، بعد خمس سنوات!

(*) الكتاب الأبيض: أصدره وزير المستعمرات البريطاني، مالكوم ماكدونالد، في آيار / مايو ١٩٣٩، وفيه تناول عزم بريطانيا على عدم إقامة دولة يهودية في فلسطين، وغرمها على أن تقيم دولة فلسطينية، بعد عشر سنوات، يتقاسم فيها العرب واليهود المسؤولية والسلطة، كما حدد الكتاب الهجرة اليهودية، منع انتقال الأراضي لليهود، بعد خمس سنوات!

(١) **المصدر نفسه**، ص٧.

وايزمان، كغيره من الصهاينة، بأن العرب، عنصر آخر ومتدن من البشر، يجب أن يكون هناك عنصر مساعد لحياتهم. فقال وايزمان، أمام لجنة فلسطين المنبثقة، عن هيئة الأمم المتحدة، في ليك سيكس، في تشرين الأول وتشرين الثاني / أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧: " إن ما هنا لك من تفاوت، وعدم تساو، بيننا وبين العرب، إنما هو أقل بكثير من مثله بين الطبقة المتأخرة والعنصر السيد، في كثير من البلدان المتمدنة المتحضرة القوية، فأحرى بالمرء أن يسأل تلك البلدان الفتية القوية، ما الذي فعلته من أجل المتأخرين المنحطين من سكانها؟، إن شر مظهر اجتماعي للبقعة العربية، هو تلك الفجوة المنكرة القائمة بين طبقة ضئيلة من الأثرياء المفرط ثراؤهم، وبين أهل الحضيض الطويل العريض، سواء السكان المتفرقين المغمورين، بؤسًا وشقاءًا " [١].

وكأن تقدم اليهود يعطيهم الحق في اغتصاب حقوق الآخرين، خاصة إذا ما كان الآخرين متأخرين!

في ١٩٤٨/٣/١٩، أبلغ المندوب الأميريكي، في ليك سكس، ولرين رأوستن، مجلس الأمن الدولي، بأن الولايات المتحدة لم تعد تؤيد مبدأ تقسيم فلسطين، وأوضح أوستن أن هذا التغيير في وجهات النظر يرجع إلى أن الولايات المتحدة أصبحت مقتنعة، الآن، بأن التقسيم لن يتحقق بدون استخدام العنف. وأرفق هذا التملص الأمريكي، باقتراح يقضي بفرض وصاية مؤقتة على فلسطين. ورأت كاتبة صهيونية بأنه كان " من

(١) حاييم وايزامن، **ملخص كتاب لتحربة والخطأ**، ترجمة: دويع البستاني، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٦٤، ص٣٠٢.

الطبيعي أن يفسر العرب المحاولة الأمريكية بأنها دليل على أن هجماتهم العربية تؤتي ثمارها، على الجبهة الدبلوماسية، إن لم يكن على جبهة القتال، فضلاً عن أنها أفضت إلى تشجيع رجال (العصابات العرب) على أعمال العنف، التي يقومون بها، مما أودى بالزعماء السياسيين والعسكريين للطائفة اليهودية إلى تشكيل جاز لمواجهه أعباء الحرب الحديثة[1].

في ١٩٤٧/١٢/٨، اتخذ ممثلو الدول العربية، الذين اجتمعوا في القاهرة، عدة قرارات سرية، ذات طابع عسكري وسياسي، أهمها: إحباط مشروع التقسيم، والعمل على أن تكون أرض فلسطين " عربية ومستقلة وموحدة "، وحدد أولئك الممثلون حصص السلاح والمتطوعين لكل الدول العربية، وعين فوزي القاوقجي، قائدًا لجيش المتطوعين، أو كما دعي باسمه الرسمي " جيش الإنقاذ ". لكن سرعان ما اتضح بأن وحدة الدول العربية الحماسية هذه لم تكن أكثر من تظاهر إزاء الخارج! وعمليًا، دار من وراء الستار صراع على مستقبل فلسطين بعد جلاء البريطانيين عنها، كان بطلاها الرئيسيان: مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني، وملك شرق الأردن، الملك عبد الله. وقامت معارضة مصر لإمكان ضم أرض فلسطين إلى دولة عبد الله، بدور كبير حاسم في جميع مخططاتها لنجدة أهل فلسطين، فساندت المفتي بالأموال والسلاح، ونظرت بتحفظ شديد إلى " جيش الإنقاذ " العام التابع للجامعة العربية. وفي دورة انعقاد المجلس

(١) ماري سيركين، **جولدا مائير**، القاهرة، وزارة الإعلام، هيئة الاستعلامات، كتب مترجمة، ١٩٦٥، ص ١١٩.

السياسي لـ " الجامعة العربية "، في شباط / فبراير ١٩٤٨، التي شارك فيها وفد فلسطين برئاسة المفتي، تكشفت العلاقة السيئة، بين أعضاء الجامعة، واتضح بأن مصر " غير متعاونة "، وأن الأموال والسلاح الذي أرسلته إلى فلسطين سلمته إلى رجال المفتي، لا إلى القوة المشتركة التي أقامتها الجامعة، واتسمت العلاقات بين رجال المفتي، و " جيش الإنقاذ " بالعداء الصريح. وعندما جاء القاوقجي إلى فلسطين، في بداية آذار / مارس١٩٤٨، نشرت " الهيئة العربية العليا "، بيانًا، بأن " من يتعاون مع الغرباء سيُعتبر خائنًا، ويطرد من البلد (فلسطين) " !، فلم يعترف رجال المفتي بالقاوقجي، وعينوا في جميع الأمكنة قادة من قِبلهم، وفي إثر هذه المشاحنات قُسم فلسطين، عمليًا، إلى ثلاث مناطق: المنطقة الشمالية (الجليل)، ووضع تحت قيادة " جيش الإنقاذ؛ المنطقة الوسطى (بين جبال القدس والنقب) تحت سلطة رجال المفتي؛ المنطقة الجنوبية، أُتبِعت بمصر، وإن أشرفت على كل هؤلاء وحدات " الفيلق العربي "، المعسكرة في فلسطين، منتظرة موعد انتهاء الانتداب البريطاني[١].

تبا ـؤ:

ركزت هيئة الأركان العامة الصهيونية، قبيل نهاية شباط / فبراير ١٩٤٨، على إعداد خطة استعداد ليوم " الغزو العربي "، المتوقع حدوثه بعد الجلاء البريطاني، فورًا. وأرادت الهيئة إنشاء جيش من ٣٠ كتيبة، في كل كتيبة ٧٥٠ رجلاً، أي ما مجموعه ٢٢.٥٠٠ رجل، وسُلمت

(١) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢١٢ - ٢١٤.

الخطة، التي عرفت " خطة د " [*]، إلى الألوية في ١٠ آذار / مارس، وقد أقيمت على فرضيات ثلاث: لن تبقى قوات بريطانية في فلسطين؛ لن تدخل قوة دولية، وستعمل القوات العربية جميعها، نظامية وشبه نظامية ومحلية، بصورة منسقة[١]

في الجهة الأخرى، اتخذت اللجنة السياسية في الجامعة العربية (١٩٤٨/٥/١٢) - أي قبل الانسحاب البريطاني بيومين اثنينّ - القرارات التالية[٢]:

١- إعلان حالة الطوارىء في الدول الأعضاء في الجامعة العربية.

٢- استيعاب الدول العربية النسوة والأطفال والشيوخ، فحسب من اللاجئين الفلسطينيين.

٣- تحمل كل دولة عربية نفقات قواتها في فلسطين.

٤- تبادل وزراء الخارجية العرب المعلومات، فيما يختص بجميع نواحي حرب فلسطين.

رأت القيادة الصهيونية بأن " الجامعة العربية " هي مكتب لاتحاد

(*) الخطة د: هي الخطة العسكرية الصهيونية الرئيسية، للسيطرة على فلسطين، أو على أكبر مساحة منها خلال حرب ١٩٤٨، وتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، بعد طرد أهاليها العرب منها.

(١) غيرشون ريفيلين، الجانان أورن (محرران)، **ديفيد بن غوريون/ يوميات الحرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨**، ط١، ترجمة: سمير حبور، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسينية، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣، ص١٣٢ - ١٣٣.

(٢) ديفيد بن غوريون، **إسرائيل تاريخ شخصي**، الجزء الأول، القاهرة، مركز البحوث والمعلومات، د. ت.، ص٢٥٨،

- حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٠٣ - ٥٠٤.

فدرالي ضعيفًا جدًا بين عدة دول، فضلاً عن أنها هيئة قائمة، في حد ذاتها، سعت إلى زيادة نفوذها، وتقليص الاتجاهات الانفصالية، التي نبعت من المصالح المتناقضة للدول المشاركة فيها. ولم تظهر الخلافات التي كانت قائمة في شأنها، بين دول الجامعة، إزاء الخارج، مادامت مشكلة فلسطين تصل إلى مرحلة الحل الفعلي[١].

وإن اتضح للإسرائيليين بأن الدول العربية لن تبقى مكتوفة الأيدي، وأنها ستحاول تنفيذ تهديداتها، وفي البداية أملت الدول العربية بأن يقوم بهذا العمل العرب الفلسطينيون، بمساعدة متطوعين عرب مختلفين، لكن عندما اتضح لتلك الدول، في نهاية نيسان / أبريل ١٩٤٨ (بعد احتلال الصهاينة طبرية، وحيفا، وتطويق يافا) انهيار القوات العربية المحلية، تمامًا، وأن كفة الميزان بدأت تميل لصالح الصهاينة، اتخذت الجامعة قراراتها، السابق ذكرها. ومنذ ١٤/٥ (إعلان قيام دولة " إسرائيل ")، ودخول القوات العربية إلى أرض فلسطين، تغير تمامًا، طابع المعركة، السياسي، والعسكري، سياسيًا، أصبحت الحكومات العربية تتحمل كامل المسؤولية السياسية، والمالية، والعسكرية، التي ستترتب على ذلك، وعسكريًا، وضع الغزو جيوش الدول العربية، وقادتها في موضع الاختبار[٢].

كانت محطات الإذاعة العربية، قد بشرت في نهاية تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤٧، بإنشاء جيش الجامعة العربية، كما وصلت أنباء عن

(١) **المصدر نفسه**، ص١٦.
(٢) **المصدر نفسه**، ص ٤٨٨، ٥٠٣.

تمركز قوات عسكرية، مصرية، وسورية، ولبنانية، على حدود فلسطين، ووجد الصهاينة بأن الهدف من هذا النشاط، ممارسة ضغط سياسي على مجرى النقاش، في الجمعية العامة للأمم المتحدة. كما اتضح لهم بأن وضع الدول العربية، السياسي والعسكري، في تلك الأيام، لم يكن يسمح لها بأي إمكان للمساس بسيادة بريطانيا في فلسطين، فإن كان من الممكن التخوف من عمل متسرع، يقدم عليه هذا القائد أو ذاك، بموافقة خفية من البريطانيين، أو دون موافقتهم[1].

عملاء ورداءة جيش

روى الضابط الكبير في " الهاغاناة "، آنذاك، موشي ديان، عن عمله في هيئة الأركان العامة " الهاغاناة "، ضابطًا للشئون العربية، هو تجنيد العملاء، لتزويد الطرف الصهيوني بمعلومات عما يحدث بين القوات العربية غير النظامية في فلسطين، وعاونه كل من جيورازيد، وعوديد ياناي، وكانت لهما اتصالات ممتازة مع العرب والدروز في حيفا، وفي الشمال، كما حاول ديان، في مهمة سياسية وعسكرية - حسب قوله - تحويل العدو إلى محايد أو صديق. فطمأن الضابط الدروز، وعند انتهاء المفاوضات معهم، " وافقوا على عدم الاشتراك في الحرب، في المستقبل، بل إن بعضهم انضموا إلينا، وحاربوا إلى جانبنا! كان ديان مشوقًا إلى ترك العمل في المخابرات، والاشتراك عمليًا في المعارك، فقام بتشكيل كتيبة من الكوماندور، على إثر اقتراح عضو القيادة العليا للهاغاناة، اسحق صادح. وكانت الأهداف الأساسية للكتيبة طرد العرب

(١) المصدر نفسه، ص١٩.

الفلسطينيين، واحتلال قُراهم، وأمام دفاعات أهل القرى، طلبت من مَن معي: " التوقف عن استخدام الهوادة واللين " كما " أننا لن نضيع وقتًا في العناية بالجرحى، إلا بعد الوصول إلى الوادي، وإذا عجزت عربة عن التحرك، فيجب أن نتركها، وهناك قاعدة واحدة تتم، وهي: (اختراق، وتقدم، أطلق النار، وتقدم) " [١].

رأت إسرائيل بأنه لم يكن هناك نقص في عدد المتطوعين في " جيش الإنقاذ "، لكنها لمست نقصًا في الضباط والرقباء. وكان كثيرون من أصحاب الرتب، الذين تم تجنيدهم، من نوعية غير جيدة، " إن مستوى تدريب وحدات المتطوعين - ذكر تقرير صادر عن القيادة العربية، في نهاية آذار / مارس ١٩٤٨ - أدنى من المتوسط، وقدرتهم القتالية منخفضة، ورجع هذا الأمر إلى قلة عدد الضباط، وتسليم القيادة في الوحدات إلى ضباط متقاعدين، أو ضباط صغار، وحتى رقباء، والنظام العسكري مهلهل جدًا ". وكان سلاح " جيش الإنقاذ " من نوعية رديئة، ومعظمه تشكيلة متنافرة من البنادق، وقطع الأسلحة الأخرى، مصدرها بقايا مستودعات سلاح الحرب العالمية الثانية[٢].

فيما قال إسحاق رابين: " كان العرب قد بدأوا في استخدام الرصاص، الذي صنعوه محليًا، والذي كان يستطيع اختراق الدروع " [٣].

---

(١) موشى ديان، **قصة حياتي**، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة " كتب مترجمة "، (٧٣٠)، القسم الأول، ص٩٠، ١٠٧، ١٣٠.

(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢١٩ - ٢٢٠.

(٣) **مذكرات إسحاق رابين**، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة للاستعلامات، فبراير ١٩٧٩، ص ٣٧.

هذه دلائل صهيونية بحتة، على سوء السلاح العربي، وعدم التدريب الجيد، فيما يناقض الإسرائيليون أنفسهم، في غير موضع، بأن العرب امتلكوا أسلحة ضخمة، مدربين عليها، من عشرات السنين!.

رغم ذلك رأى رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك، بن غوريون بأن شهر المعارك، بداية من قدوم القوات العربية إلى الهدنة الأولى (١٩٤٨/٦/١١)، أشق وأخطر فترة في " حرب الاستقلال "، فقد احتفظ العرب بالمبادأة، معظم الوقت، ولم تكن - حسب بن غوريون - العمليات التي بدأناها موفقة، دائمًا. وبدأت الأسلحة المشتراة من الخارج تصل، في بطء شديد. واستغرق وصول الأسلحة الثقيلة، التي كان للعرب فيها الميزة الكبرى، وقتًا كبيرًا[١].

مبالغة في الإعلام:

في بداية نيسان / أبريل ١٩٤٨، شنت وحدات " جيش الإنقاذ "، بقيادة القاوقجي هجومًا قويًا على مستوطنة " مشما هعميك "، وبعد أن انتهت المعركة بهزيمة القاوقجي، لن تستطع أن تغطي عليها برامج " الكذب والتبجح " - حسب الرواية الإسرائيلية - التي كانت تبثها محطة اذاعة " صوت الإنقاذ "، حيث كان الأسلوب الدعاوي، الحافل بالمبالغات سمة مشتركة، لكل القوات العربية المحاربة، حيث كان " اعتيادًا على التزييف والمبالغة " (ويلسون). وظهرت في المطبوعات " أوصاف المعارك، وانتصارات وهمية، لا أساس لها في عالم الواقع " [٢].

(١) بن غوريون، إسرائيل... **مصدر سبق ذكره**، ص٢٥٧.
(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٢ - ٢٢٣.

الموقف المصري:

رأى الإسرائيليون بأن مصر اتخذت موقفًا قاترًا جدًا من فكرة التدخل في الحرب، لأنها ترددت في أرسال قوات حقيقية من جيشها الصغير، الذي كانت في حاجة إليه لضمان أمنها الداخلي. وصدرت المبادرة للتطوع، لنجدة العرب، في مصر، أولاً، عن منظمة " الإخوان المسلمين "، و " المكروهة " من جانب الحكومة، وانتظموا، في شباط / فبراير ١٩٤٨، في كتيبة، وفي فجر ١٩٤٨/٤/١٠، حاول " الإخوان " مهاجمة مستوطنة " كفار داروم " المنعزلة. وانتهى الهجوم بهزيمة، وأدرك " الإخوان " أن أفضل السبل هي عدم مهاجمة نقاط يهودية منعزلة، وإنما إرغام الصهاينة على الدخول في معركة خارج مستعمراتهم، في ساحة مكشوفة. فإنقسمت الوحدات إلى عصابات صغيرة. وبحلول منتصف نيسان / أبريل، كان قد دخل منطقتي غزة، والنقب آلاف المتطوعين المصريين، من كل الأنواع. وفي الوقت نفسه، توصل " الإخوان " إلى اتفاق مع الحكومة المصرية عُين بموجبه ضباط مصرين لتدريب وحدات " الإخوان " [١].

استغلال صهيوني للهدنة:

ابتداء من قيام دولة إسرائيل، إلى يوم الهدنة الأ، لى ١٩٤٨/٦/١١، قُتل - حسب الاحصائيات الإسرائيلة - ٨٧٦ محاربًا إسرائيليًا، وحوالي ٣٠٠ مدني، لكن الموقف العسكري الصهيوني تغير، وفي ذلك الشهر،

(١) المصدر نفسه، ص٢٢٣ - ٢٢٤

فحصلت إسرائيل على مزيد من العتاد، وتدريب الجنود، وتوسعت وتطورت صناعة الأسلحة، في إسرائيل. وذكر بن غوريون، أنه في ٦/٣، أحرزت إسرائيل أول انتصار على القوة الجوية المصرية، باستخدام طائرات الداكوتا، مرشميت، التي وصلت، مؤخرًا، إلى الصهاينة، " ووضعت نهاية لتطوق العدو الجوي " (بن غوريون)، كما أكد بن غوريون بأن " خبراء العسكريين كلهم يؤيدون قيام الهدنة، لأنها ستتيح لنا فرصة لتدريب جيشنا " [١].

جاءت الهدنة الأولى، في الوقت الملائم لصالح الصهيونية. قال أحد القادة الإسرائيليين: " نزلت علينا كالندى من السماء " !، فقد كانت الوحدات متعبة، وخائرة القوى، وكانت الخسائر في كتائب سلاح المشاة عالية جدًا، وكان من الضروري منح الرجال فترة استجمام، لاسترداد القوى، وإرسال تعزيزات للكتائب، ولخص رئيس الحكومة، آنذاك، بن غوريون، الخطط لاستغلال الهدنة، في الجلسة التي عقدتها الحكومة المؤقتة، بتاريخ ٦/١٤، وتوقف بين أمور أخرى، عند عدد من المشكلات: مشكلة إرسال المواد الغذائية والمؤن إلى القدس، وتحسين " طريق بورما "، وتوسيعه، مشكلة إيقاف نزوح اليهود عن القدس، مشكلة رفع مستوى التدريبات والانضباط في الجيش، وإعادة تنظيم بنيته؛ مشكلة رفع مستوى الجهد القتالي للبيشوف برمته، فضلاً عن زيادة الهجرة، وإقامة المستعمرات الجديدة بأسرع ما يمكن. وأكد الإسرائيليون بأنهم

(١) بن غوريون، إسرائيل... **مصدر سبق ذكره**، ص٢٦٩، ٢٧٢، ٣٣٠.

استغلوا الهدنة الأولى على أفضل ما يمكن، عسكريًا وسياسيًا[١].

قال رابين، إنه " بحلول أوائل حزيران / يونيو ١٩٤٨، كانت جهودنا للحصول على السلاح قد بدأت تؤتي أُكلها، ولولا وجود الأسلحة التي أتتنا من تشيكو سلوفاكيا، والتي زودتنا بها بتوصية من الاتحاد السوفييتي، دون جدل، لكان من المشكوك فيه جدًا أن يكون بوسعنا المضي في حربنا للاستقلال. وتحسنت كذلك عملية التطوع، كما هيأت لنا الهدنة فرصة إدماج القادمين من معسكرات الاحتجاز في قبرص، في الوحدات المحاربة، كما هيأت لنا أن تقوم بتنظيم تشكيلات منفصلة " [٢].

ذكر بن غوريون، في أواخر حزيران / يونيو ١٩٤٨، " كانت قد أُحبطت مؤامرة تدمير إسرائيل، (فالغزو) العربي أبعد اليوم من النجاح، عما كانت عليه، منذ ثلاث أسابيع مضت، وتحتل جيوش إسرائيل مناطق متصلة أكبر مما كانت تحتله قبل الهجوم ". فيما شكا المصريون - والحديث لبن غوريون - للدكتور رالف بانش الأمريكي، المرافق لممثل الجمعية العامة للأمم المتحدة، السويدي الكونت فولك برنادوت، من تدخلنا في مشترياتهم من الأسلحة، والأعمال التخريبية للهاغاناة، في طائرات أُعدت في ورشة تصليح إيطالية، لنقل شحنة إلى مصر، كما استولينا على سفينة حملت أسلحة تشيكية كانت مباعة لسوريا، وأحضرناها إلى يافا، وأفرغنا شحنتها "، وأكمل بن غوريون، وقال

(١) **المصدر نفسه**، ص٢٩٣ - ٢٩٤،
- حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٧١ - ٥٧٢.
(٢) مذكرات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٤٩.
- وأيضًا: بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٥٦.

بانش: " إن العرب يخشوننا، وأننا نغالي في كمية الأسلحة الموجودة تحت تصرفهم " [1].

قصة تلك السفينة أن سمسارًا سوريًا اشترى هذه الأسلحة، وعرفت " الموساد " بذلك، فأرسلت له فتاة لعوب، واستطاعت أن تحول السفينة إلى إسرائيل، بدل اللاذقية!

مع بداية الهدنة، شعر بن غوريون، بأنهم أحبطوا نية العرب القضاء على الدولة، بحملات خاطفة، وبحسب معلومات، كان من المفروض على العرب الوصول إلى حيفا، وفي ٢٠ آيار / مايو، وإلى تل أبيب، والقدس، في ٢٥ من الشهر نفسه. ويوم ٦/١٠ أذاع بن غوريون على المستوطنين اليهود رسالة، بشأن الهدنة، وشرح بأن حكومته وافقت على الهدنة، لاعتبارين أساسين: الاستعداد لوقف القتال، لحظة توقف العدو عن القتال، ومبدأ العمل " عبر تفاهم متبادل وتنسيق " مع الأمم المتحدة[2].

وقد أكد الإسرائيليون بأن تاريخ الأشهر الأربعة الأولى للحرب هو تاريخ تكون تشكيلات عسكرية، وتدريبها، بصورة مكثفة، وشراء أسلحة، قلبت الوضع، في ربيع ١٩٤٨، رأسًا على عقب، وأدت إلى إلحاق هزيمة كاملة بالقوات العربية، المحلية، وغير النظامية[1].

---

(١) **المصدر نفسه**، ص٤٧٤،
بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣١١ - ٣١٦.
(٢) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٣٣ - ٣٣٤.
(١) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٢٩.

في تقرير لبن غوريون، أمام الحكومة المؤقتة(١)، في اجتماعها الأول، في ٥/١٦، تحدث عن اتفاقات في أوروبا لشراء أسلحة، قيمتها ١٩ مليونًا من الدولارات، وعن رحلة غولدا مائير (رئيسة الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية) إلى الولايات المتحدة، لجمع الاعتمادات اللازمة (جمعت ٥٠٠ مليون دولارًا)، " لقد اشترينا، بالفعل، ٨٠% من الأسلحة التي تحتاج إليها، إلا أننا سنواجه وقتًا عصيبًا، إلى أن تصل إلى أيدينا. وغرضنا الأساسي، الآن، ليس الدفاع عن قرية أو أخرى، بل تدمير قوات العدو " [١] (بن غوريون). كما تطور سلاح الطيران الإسرائيلي، فضلاً عن اتساع نشاط " الهاغاناة " [٢].

نفسية العرب:

إلى ذلك، لعب الإسرائيليون دورًا فعالاً في الناحية النفسية للعرب، داخل فلسطين وخارجها، ففي ليل ٦/١٠، أي قبل الهدنة الأولى، تمامًا، - حسب الرواية الإسرائيلية - أقلعت في اتجاه دمشق طائرة " داكوتا "، حملت قنابل، فاق وزنها ٢.٥ طن، وحلقت فوق المدينة، مدة تزيد على ٣٠ دقيقة، القت خلالها قنابل، وكان التأثير النفسي على اهالي دمشق " هائلاً ". وقد خسر العرب، في شهر المعارك طائرتي " داكوتا "، وأربع

(١) بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٤٣ - ٢٤٤،
- وللمزيد عن رحلة جولدا لأمريكا، لجمع المال، انظر:
- سيركين، **مصدر سبق ذكره**، ص ١١٩ - ١٢٥.
(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٢٣٣،
- وعن الصناعة العسكرية ومشتريات السلاح: **المصدر نفسه**، ص٤٠١ - ٤٣٠.

طائرات " سبيتفاير "، وطائرة " هارفارد " واحدة، ووقع في الأسر ثلاثة طيارين مصريين[١]. كالنت ٣ طائرات إسرائيلية قصفت، في ٦/١، العاصمة الأدرنية عمان، حيث ألقت ٣/٤ طن من المتفجرات[٢]. فقد اعتبر الإسرائيليون، وعلى لسان بن غوريون، " الحرب بالنسبة لنا حربًا هجومية "، لذا ضربوا العرب في سوريا، ولبنان، وشرق الأردن. أضاف بن غوريون بأن وزير الخارجية البريطانية، آنذاك، إرنست بيفن، منع اليهود، ممن في سن التجنيد، من مغادرة قبرص إلى إسرائيل، إلا أن " رأيه لا يلزمنا بشيء، ولسوف نرفض الحظر على شحنات الأسلحة "[٣].

فيما حاول الصهاينة اللعب على نفسية العرب، قال بن غوريون: " ينبغي لي أن امتدح العدو، فالفيلق العربي، قوة عسكرية مدربة، شديدة الضبط والربط، تتحلى بالشجاعة، وتحظى باحترام رجالنا، فأفراد الفيلق يعرفون ماهية الجيش، فهم لا يولون الأدبار، كما أنهم قادرون على اقتحام الموقع، كلما كان ذلك ضروريًا. والجندي المصري مقاتل، أيضًا، قائده لا يفتأ يدفعه للقتال، ولكنه يقاتل باستبسال "[٤]. أردف بن غوريون: " المصريون منضبطون، لكن نجاحهم في استخدام الأسلحة الخفيفة ليس كبير، فعندما يكابدون إصابات تنخفض معنوياتهم، تنظيم الإمداد ليس

(١) **المصدر نفسه**، ص ٥٦٥ - ٥٦٦.
(٢) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٧٦.
(٣) بن غوريون، إسرائيل...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣١٨، ٣٣١.
(٤) **المصدر نفسه**، ص٣٤٣.

جيدًا " [١]. كما تحدث آخرون عن تدهور معنويات " الإخوان المسلمين "، بعد ايقاع خسائر كبيرة لهم، مما أحدث تأثيرًا سيئًا في نفوسهم، وبعث فيهم الكآبة[٢].

فضلاً عن ذلك، أشاع الإسرائيليون، بأن رجال " جيش الإنقاذ " لم ينجحوا، في كسب ود العرب المحليين، " الذين رأوا فيهم عزباء، يتصرفون بعنجهية، وأنهم تصرفوا مع الأهالي تصرف الغزاة مع المحتلين، فجمعوا الأسلحة، وباعوها، وفرضوا الغرامات، وصادروا السيارات، ووصل الوضع إلى حد أن السكان باتوا يخشون حماتهم، أو مخلصيهم، أكثر مما يخشون اليهود أعدائهم " ![٣]

تشتت وإستهانة:

عمومًا، رأى بن غوريون، بأن العرب دخلوا حرب ١٩٤٨ منقسمين، ومختلفين، ولا يجمع بينهم هدف واحد، وكان انقسامهم واختلافهم مصلحة إسرائيلية، نجح الصهاينة في توظيفها، إلى اقصى حد ممكن. مما يؤرق بن غوريون " الوحدة العربية ". وفي يومياته اعرب، غير مرة، عن خشيته من قيام زعيم عربي، بقيادة العرب في طريق العرب. وكتب: " الويل لنا إذا كنا لا نعرف كيف نستغل هذا الوقت، كي ننمو ونتحصن، ونمتلك مكانة في العالم، ونقترب من الشعب العربي ". فقد دأب الصهاينة، منذ بداية حركتهم، على الاتصال بالقوى العربية المختلفة

(١) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٣٥٥

(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٤٥.

(٣) للمزيد، **المصدر نفسه**، ص٢٢٢ - ٢٢٣.

خارج فلسطين، واستطاعوا أن يضعوا أصابعهم على الخلافات والصراعات بين هذه القوى، ووظفوها لخدمة أهدافهم. إن من يراجع كتاب أهرون كوهين، عن إسرائيل والعالم العربي، لا يجد إلا الإتصالات والحوارات واللقاءات مع العرب في فلسطين، وفي خارجها، بحثًا عما سماه الصهاينة " الوفاق " أو " الاتفاق "، وكان بن غوريون لا يعارض ذلك، الذي رأى أن القوة وحدها أداة لتحقيق هذه الأهداف، ولكن القوة المطلقة كذبة مطلقة، وحدود القوة كما قال بن غوريون " الوحدة العربية " [١].

كانت الاستهانة العربية بقوة العدو الصهيوني، أحد أسباب النكبة، فمثلاً، في ٥/٢٨، تم استرداد البلدة القديمة لمدينة القدس، على أيدي الفيلق العربي، وكان ذلك النجاح الأول للفيلق، بعد أن شاهد عدد المقاتلين، وكمية الأسلحة - حسب الرواية الإسرائيلية - " لو عرفنا بأن هذا هو الخصم الذي نقاتله، لكنا هاجمناكم بالعصى، لقد ابتززتم منا، عمليًا، شروط (استسلام)، بعد أن تم احتلال الحي " [٢].

كما أشار الصهاينة إلى صعوبة لفظ حرف الـ P على العرب، مما أحبط نواياهم في بعض العمليات، رغم وجود حالات اكتشف فيها العرب الشيفرة التي وردت بها حرف الـ P[١].

---

(١) عبد العال الباقوري، " إسرائيل " في الستين، مفترق مصيري، **العربي** (القاهرة)، ٢٠٠٨/٥/١١.

(٢) حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٣٣.

(١) **المصدر نفسه**، ص٥٧٥ - ٥٧٦.

ماذا لو؟ :

في فترة الهدنة، سأل بن غوريون، في حال تجدد الحرب - وإنها ستتجدد - كيف ننتصر؟ علينا أن نقرر أين نستطيع إنزال الضربة المهلكة وبمن[١]. وأكد، في اجتماع، تم يوم ١٩٤٨/١٢/١٨، بأن " هدفنا الرئيسي، الآن، هو السلام " !. وحذر من ا، " نعتز بانتصاراتنا ". وأضاف أن الهجرة تتطلب وضع حد للحرب، وأن ما نحتاج إليه، في المستقبل، هو السلام والصداقة مع العرب " ![٢].

لقد تمت اتفاقيات الهدنة، في رودس، مع كل من مصر (١٩٤٩/٢/٢٤)، ولبنان (١٩٤٩/٣/٢٣)، والأردن (١٩٤٩/٤/٣)، وسوريا (١٩٤٩/٧/٢٠) [٣].

فيما اعتبر رابين أنه " بانتهاء عملية (يوآف)[*] أصبحت (حرب الاستقلال) حربًا إسرائيلية - مصرية، بالفعل، نظرًا لأن الوحدة بين العرب كانت قد تحمت، كما أن بقية الجبهات ظلت مستكينة[١].

في آيار / مايو ١٩٤٩ قُبلت إسرائيل عضوًا في الأمم المتحدة، قبيل

---

(١) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) ديان، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٤٦.

(٣) عن الاتفاقيات، انظر:

- حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٠١، ٧٠٥ - ٧٠٧.

- بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٥٣، ٥٦٣، ٥٧١، ٦١٩ - ٦٢٠، ٧٠٧ - ٧١٠.

(*) يوآف: كان الهدف الأول والأساسي لإسرائيل، لهذه العملية، شق ممر إلى النقب وحمايته، وتحطيم القوات المصرية. (انظر: حرب...، **مصدر سبق ذكره**، ص٦٢٩.

(١) مذكرات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٥٨.

مرور عام على إعلان قيام الدولة. وفي هذه المناسبة تساءل بن غوريون، لو قبل العرب قراري الأمم المتحدة، الصادرين يوم ١٩٤٧/١١/٢٩، بشأن التقسيم، كما قبلتها إسرائيل؟ وبموجب الأمم المتحدة، كانت إسرائيل ستحصل على مساحة تبلغ نحو ١٥ ألف كم، وكان فيها يوم إعلان الدولة، نحو ٦٥٠ الف يهودي، و٤٥٠ ألف عربي، لكن " في الواقع تسبب العرب " زيادة المساحة لتتجاوز ٢٠.٥ الف كم، وبقى داخل حدود " الدولة " نحو ١٧٠ ألف عربي فقط، أما عدد اليهود، فقد ارتفع، بفعل موجات الهجرة التي تلت الحرب إلى أكثر من ٩٥٠ ألفًا[١].

وبعد،

فقد اتفق الإسرائيليون، في رصد أسباب نكبتنا، على ضعف العرب، داخل فلسطين وخارجها، وصراعهم، وتورط أحد القادة العرب فضلاً عن أناس آخرين، مع الصهيونية. غير تمويل العرب في قدراتهم، وتهوينهم في قدرات العدو. فيما ناقض الإسرائيليون أنفسهم، بشأن سلاح العرب، وقوتهم، ومدحهم للعدو. وبقى سؤال بن غوريون، للرد عليه، هو ما وصلنا إليه الآن، فسواء رضي العرب بقرار التقسيم، أم لم يرضوا، فإن إسرائيل كانت ستقوم بكل أعمالها العدوانية، لتحقيق حلمها الصهيوني " من النيل إلى الفرات "، مع ملاحظة أن القيادة الصهيونية تظاهرت بقبول قرار التقسيم، وإن ضمرت رفضه!.

* * *

(١) بن غوريون، يوميات...، **مصدر سبق ذكره**، ص٧٥١